

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٨٧ : خ ١ - رمضان ٣ (موقعة بدر) ، خ ٢ - ليلة القدر.

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٧-٣-١٩٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتني لو لا أن هدانا الله، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلني إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً لربوبيته ، وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنُ بخبر . اللهم صل وسلام وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، واللطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قادر ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنها ، وأندخنا برحمتك في عبادك الصالحين .

علاقة المؤمن بمعركة بدر :

أيها الأخوة الأكارم ؛ خطب رمضان معروفة عندكم جميعاً ؛ خطبة عن فضائل الصيام ، وخطبة عن القرآن ، وخطبة عن الإنفاق ، وخطبة عن موقعة بدر ، وخطبة عن ليلة القدر ، بقي علينا من هذه الموضوعات التي ألف الخطباء أن يطرحوها في هذا الشهر الكريم ، موضوع موقعة بدر .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ وقائع هذه الموقعة ، وأسباب هذه الموقعة ، ونتائج هذه الموقعة ، وصور البطولة في هذه الموقعة معروفة عندكم جميعاً ، ولكنني سأعالج هذا الموضوع إن شاء الله تعالى من زاوية واحدة ، هذه الزاوية ما علاقتي أنا كمؤمن أعيش في هذا العصر بمعركة بدر ؟ لأن المحتاريين من مؤمنين وكافرين ارتحلوا جميعاً ، وختمت أعمالهم جميعاً ، وأفضوا إلى ربهم جميعاً ، ولقد انتصر من انتصر ، وانهزم من هزم ، ولقد رضي الله عن رضي عنه ، وسخط الله على من سخط عليه ، والواقع كلها نعرفها جميعاً ، ولكن ما علاقتي أنا وأنا أعيش في القرن الواحد والعشرين أو في القرن الخامس عشر من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ؟ ما علاقتي بهذه الموقعة ؟ وكيف أستتبط منها الدروس والعبر ؟ وكيف أحتج إلى ما يُستبط منها في حياتي اليومية ؟ وفي علاقتي بالآخرين ؟

ارتباط نصر الله بإخلاص الدين له و تطبيق منهجه تطبيقاً تماماً :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ بادئ ذي بدء ، ليتنا نتعامل مع الله عز وجل ، ليتنا نتعامل مع كتابه الكريم بطريقة جدية كما نتعامل مع بعضنا بعضاً ، كما نتعامل مع القوانين التي سنّها الله عز وجل ، كيف يسقط هذا المظلّي من الطائرة ؟ ألا يتعامل مع قوانين السقوط ؟ ألا يفهمها فهماً دقّياً ؟ ألم تصمم المظلة وفق قوانين السقوط ومقاومة الهواء وما إلى ذلك ؟ كيف ننجو من عذاب الله عز وجل إن لم نتعامل مع ربنا عز وجل ومع كلامه بجدية ووضوح في آنٍ معاً ؟ أيها الأخوة الأكارم ؛ ربنا عز وجل يقول في القرآن الكريم ، والقرآن الكريم قطعي الثبوت ، وهذه الآية قطعية الدلالة ، والقرآن الكريم كلام رب العالمين ، أنا أخاطب المؤمنين ، فالذى في قلبه شك أن هذا الكلام ليس كلام الله عز وجل فله مخاطبة أخرى ، نحن نخاطب المؤمنين بكلام الله عز وجل ، ونخاطب المنكرين بالكون ، الكون يدل على الله عز وجل فلو أعملنا عقولنا لاهتئنا إلى ربنا ، لو تفكّرنا في خلق السموات والأرض لوصلنا إلى الله عز وجل بعقولنا ، وهذا الكلام فيه إعجازٌ لو أعملنا عقولنا فيه لتوصلنا إلى أنه يستحيل على البشر مجتمعين أن يصيّعوا هذا الكلام ، هو كلام الله عز وجل ، ثلاثة أشياء من مهمّة العقل ؛ الإيمان بوجود الله ، وبوحدانيته ، وبكماله ، والإيمان بأنبيائه عن طريق المعجزات التي أيدّهم بها ، والإيمان بقرآن الكريم عن طريق إعجازه الحكيم ، وبعد هذا نتعامل مع النّقل ، ون التعامل مع ما في القرآن الكريم ، في القرآن الكريم يقول الله جل وعلا :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخَافُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَافُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْقَهُمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾

[سورة التور : ٥٥]

الليست هذه الآية من القرآن الكريم ؟ أليست دلالتها قطعية ؟ ويقول الله عز وجل :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانِ كُفُورٍ﴾

[سورة الحج : ٣٨]

ويقول الله عز وجل :

﴿إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَتْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾

[سورة آل عمران : ١٦٠]

هذه الآيات الثلاث التي ورد فيها أن الله سبحانه وتعالى بيده النّصر ، وهذه الآيات الثلاث التي ورد فيها أن المؤمن الذي يطبق شرع الله عز وجل موعود بالاستخلاف والتمكين والطمأنينة ، فإذا تأملنا ووجدنا أن هذه الوعود لم تتحقق ، لماذا ؟ هنا السؤال ! الله سبحانه وتعالى من أصدق منه ؟ ومن أقوى بعده منه ؟ بقي احتمال واحد ، هو أننا لسنا على الطريق الذي يريده الله عز وجل ، ولعلنا لا نستحق هذا النّصر المبين ، لعلنا لا نستحق هذا التأييد الإلهي ، ، لعلنا لا نستحق

هذا الحفظ الرباني ، لعنة لا تستحق هذه المعونة السماوية ، إذا يجب أن نستبط أن أصحاب رسول الله عليهم رضوان الله حينما أخلصوا دينهم الله ، وحينما طبقوا منهجه تطبيقاً تاماً ؛ ظاهراً وباطناً ، كلياً وجزئياً ، جملةً وتفصيلاً ، حينما فعلوا ذلك جاءهم نصر الله عز وجل ، قال تعالى:

﴿ولَقَدْ نَصَرْتُكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَلُهُ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٣]

أليس الله هو الله ؟ أليس رب العالمين هو رب العالمين في كل زمان ومكان ؟ أليس الله هو الله في كل صدق ونصر ؟ سؤال ثالث .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حينما لا نجد أن وعد الله التي وعد بها المؤمنين في القرآن الكريم قد تحقق ، فلا بد من وقفة متأنية ، ولا بد من استفهام ، إما أن الله سبحانه وتعالى ، وهذا يستحيل بحق الله عز وجل أخلف وعده ، وهو الذي لا يخلف الميعاد ، وهو الذي كما وصف نفسه :

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

[سورة النساء : ٨٧]

قال تعالى :

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة التوبة: ١١١]

وإما أننا لسنا على المنهج الصحيح الذي أراده الله عز وجل ، إذا ما دام الله عز وجل نصر صحابة نبيه الكريم في معركة بدر ، مع أنهم كانوا أقل عدداً ، وعدة من خصومهم الكفار ، فلا بد من أن يكون في حياتنا خلل ، وضعف ، وانحراف عن منهج الله عز وجل .

تحقق وعد الله عز وجل يثبت إيمان المؤمن :

شيء آخر ، يا أيها الأخوة الأكارم ؛ أنت حينما تستمع إلى خطبة من خطب الجمعة ، وحينما تستمع إلى درس من دروس العلم ، أو حينما تقرأ حقيقة من حقائق التوحيد ، هذا يبقى في الحيز النظري ، أما إذا انطلقت إلى التطبيق ، ولمست أثرها في الواقع ، وقبضت على ثمنها بيدهك ، وعشت السعادة التي وعد الله بها ، بعدئذ يغدو إيمانك أرسخ من الجبال حينما ترى أن الله سبحانه وتعالى وفي لك وعده ، وأنجز لك وعده ، وحينما ترى أن الله سبحانه وتعالى أعطاك سؤلك ، وأنه سميح لقولك ، عليم بحالك ، وأن الأمر كله بيده ، عندئذ يغدو إيمانك أرسخ من الجبال ، ما الذي يثبت إيمان المؤمن ؟ هو ما يلقاه من الله عز وجل من معاملة يختص بها ، هناك قوانين أرضية ، هناك سنن كونية ، حينما تخرق له هذه القوانين وينتصر على عدوه العتيد ، والقوى ، فهذا مما يثبت إيمانه ، فإذا قلنا إن عدم تحقق وعد الله عز وجل يدل على ضعف الإيمان ، بالمقابل إن تحقق وعد الله عز وجل يجعلك من المؤمنين الصادقين الذين يجري الإيمان في دمائهم كما تجري الكريات الحمراء فيها .

أيها الأخوة الأكارم ؛ معركة بدر إذا أردنا أن نُوَسِّع مفهوم المعركة ، قد يقولون الآن معركة بناء ، معركة اقتصادية ، إذا أردنا أن نُوَسِّع مفهوم المعركة ، أي أنت طرف ، ولك خصم أقوى منك في أي مجال من مجالات الحياة ، أنت مؤمن ، ولك خصم لا يعترف بدينك ، أنت مؤمن ولد خصم قوي قوي ، ماكر ماكر ، عدو لدود ، هل يمكن أن تستتبط من معركة بدر ما يُعينك على التغلب على هذا العدو الماكر ؟ منذ أن نشأنا ونحن نسمع دعاء من خطباء المساجد ، أن يُلْمِرَ الله أعداءنا اليوم ، فحينما لا نجد هذا مُحْقِقاً لا بد من تساؤل .

عوامل النصر :

أيها الأخوة الأكارم ؛ عوامل النصر عاملان أساسيان جداً ؛ العامل الأول هو الإعداد ، والعامل الثاني هو التوكّل ، ولا توكّل قبل الإعداد ، ولا قيمة للإعداد قبل التوكّل ، والإعداد والتوكّل شرطان لازمان كلّ منهما ليس كافٍ لتحقيق النصر وحده ، الإعداد والتوكّل، إن شئت أن تأخذ هذا القانون في حياتك اليومية ، وفي علاقتك الأرضية ، في علاقتك الفردية ، والاجتماعية ، في نشاطاتك المتعددة ، فهو قانون يفعّل فعله التام . الإعداد ، قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوْفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

[سورة الأنفال : ٦٠]

من هم ؟ متكلّم ، مخاطب ، غائب ، فالمتكلّم هو الله ، والمُخاطب هو المؤمنون ، والغائب هم أعداء المؤمنين ، ومن لم يُعِد العدة لعدو اللذوذ فليس مؤمناً بهذه الآية ، في أقل تقدير ، ومن لم يُعِد العدة لأعدائه الأداء فهو عاصٍ لأنّه خالف نصّ هذه الآية ، وكما قلتُ قبل قليل : يمكن أن يُوَسِّع مفهوم الإعداد ليشمل كل نشاطات الحياة ، وأعدوا لهم ، من هم ؟ أعداء المسلمين ، المغتصبون ، الحاقدون ، الذين يريدون إطفاء نور الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾

[سورة الأنفال : ٦٠]

هذه تقييد استئناف الجهد ، هناك من يُسيء فهم هذه الآية ، فيفهمها على أنها تعني بذل بعض الجهد ، وفرق كبير بين استئناف الجهد وبين بذل بعض الجهد ، أعدوا لهم ما استطعتم ؛ شيئاً فليلاً !! لا ، أعدوا لهم ما استطعتم أي يجب أن تستئنفوا كل طاقاتكم ، وكل جهودكم في سبيل الإعداد ، كيف نُعِد ؟ وما موضوع الإعداد ؟ قال تعالى :

﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾

[سورة الأنفال : ٦٠]

يا رب ما هذه الكلمة العامة ؟ وما هذه الكلمة المطلقة ؟ وما هذه الكلمة الواسعة ؟ هكذا أراد الله أن نفهم القوّة ، أيّة قوّة ؟ أليس العلم قوّة ؟ أعدوا لخصومكم قوّة العلم ، فتعلّم العلم فريضة على

كُلَّ مُسْلِمٍ ، أَعْدُوا لَهُمْ قُوَّةَ السَّلَاحِ ، قُوَّةَ الْعِلْمِ ، وَقُوَّةَ السَّلَاحِ ، وَقُوَّةَ التَّنظِيمِ ، وَقُوَّةَ الْقِيَادَةِ الْحَكِيمَةِ ، وَقُوَّةَ جَلْبِ الْمَعْلُومَاتِ ، فَنُونُ الْحَرْبِ الْحَدِيثَةِ فِيهَا عَوَامِلٌ كَثِيرَةٌ جَدًا ؛ اسْتِقْصَاءُ الْمَعْلُومَاتِ ، الْإِعْدَادُ النُّفْسِيُّ ، تَلْقَى أَخْبَارَ الْعَوْنَى ، الْإِعْدَادُ الْمَادِيُّ ، الْإِعْدَادُ الْمَالِيُّ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

[سورة الأنفال : ٦٠]

من هذه كما يقول علماء البلاغة تُقييد استغراق أفراد النوع ، أي ما من قوَّةٍ تُسْهِمُ بِشَكْلٍ أو بآخر في تحقيق النَّصْرِ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُكْفُونَ أَنْ تَعْدُوا هَذِهِ الْقُوَّةَ ، هَكُذا ، وَهَذَا هُوَ الْإِعْدَادُ ، لِذَلِكَ لِمَا زَوْجَ الْمُكَبِّيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبْيلَ مَعْرِكَةِ بَدرٍ يَدْعُو رَبَّهُ وَيَرْفَعُ يَدِيهِ وَيَقُولُ :

((يا رب نصرك الذي وعدتني ، اللهم أنجز نصرك الذي وعدتني ، قالها ثلاثا حتى سقط الرداء من على منكبيه ، فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداءه من منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبِيُ اللَّهِ ، كفاك مناشتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك))

[رواية الترمذى عن عمر]

لماذا وقف النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَدْرٍ مَوْقِفُ الْوَاثِقِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَما قَالَ أَبُو بَكْرَ الصَّدِيقَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَظَرَ أَهْدُهُمْ إِلَى مَوْطَئِ قَدْمِهِ لَرَأَانَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَوْنَا ، قَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنَكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهِ ثَالِثَهُمَا ؟ قَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَمْ تَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى :

﴿وَتَرَاهُمْ يَنْتَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ﴾

[سورة الأعراف : ١٩٨]

لماذا انعكست الآية ؟ قَالَ عُلَمَاءُ التَّقْسِيرِ وَعُلَمَاءُ السِّيرَةِ : إِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا مِنْ رَجُلٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَشَدَّ تَقْهِيَةً بِنَصْرِ اللَّهِ مِنْهُ وَلَكِنَّهُ فِي بَدْرٍ خَافَ أَنْ يَكُونَ إِعْدَادُهُ لِلْمَعْرِكَةِ قَلِيلًا ، خَافَ أَنْ يَكُونَ إِعْدَادُهُ لَيْسَ فِي الْمَسْتَوِيِّ الْمَقْبُولِ ، خَافَ أَنْ يَكُونَ مُقْصِرًا فِي الْإِعْدَادِ ، هَذَا الْكَلَامُ مُوجَّهٌ لِلْطَّلَابِ ، ادْرُسُوا جَيْدًا ، هَذَا الْكَلَامُ مُوجَّهٌ لِلْمُؤْمِنِ ، يَجِبُ أَنْ تُعَدَّ لِلْمُؤْمِنِ مَوْضِعُ عُدْتَهُ ، هَذَا هُوَ الْمُؤْمِنُ ، مَا الَّذِي سَبَبَ تَخْلُفَ الْمُسْلِمِينَ ؟ أَنَّهُمْ تَوَكَّلُوا وَلَمْ يَتَوَكَّلُوا ، تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ بِسَدَاجَةٍ مِنْ دُونِ أَنْ يُعَدُّوا لِلْمُؤْمِنِ مَوْضِعُ عُدْتَهُ ، أَنْتَ كَطَّالِبٌ ، أَنْتَ كَطَّيِّبٌ ، أَنْتَ كَمُدْرِسٌ ، أَنْتَ كَتَاجِرٌ ، أَنْتَ كَمُزَارِعٌ ، يَجِبُ أَنْ تُعَدَّ لِكُلِّ شَيْءٍ عُدْتَهُ ، هَذَا أَحَدُ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ ، أَحَدُ أَسْبَابِ نَصْرِ اللَّهِ لَكَ ، أَحَدُ أَسْبَابِ نِجَاحِكَ ، أَحَدُ أَسْبَابِ تَفْوِيقِكَ ، أَحَدُ أَسْبَابِ فُوزِكَ ، يَجِبُ أَنْ تُعَدَّ لِلشَّيْءِ عُدْتَهُ ، أَمَّا هَذَا الَّذِي يُهْمِلُ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ ، وَيُهْمِلُ الْقَانُونَ الَّذِي سَنَّ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَلْتُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتَيْتُهُ سَبَبًا﴾

[سورة الكهف : ٨٣-٨٥]

هَكُذا .

توسيع مفهوم المعركة لتشمل النفس و العمل :

أقول لكم : وسِعُوا مَفْهُومَ المعركة ، معركتك مع نفسك ، معركتك من أجل تأمين عملك ، معركتك من أجل تتميّة ما ، معركتك مع خصمك اللّود ، دقّقُوا في هذا الحديث ، وهو من أروع الأحاديث :

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجْلَ يَوْمٍ عَلَى الْعَجْزِ))

[أبو داود عن عوف بن مالك]

هذا الإنسان الانهزامي ، والمستسلم ، الذي لا يُعد للشيء عُذْتَه ، ويقول لك : هكذا هو حظي ، ماذا أفعل ؟! حسبي الله ونعم الوكيل ! من قال لك : إنّ هذا من الدين ؟ ومن قال لك : إنّ هذا هو سلوك المؤمن الصادق ؟ عن عوف بن مالك أَنَّهَ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ الْمُقْضِيُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ : حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَكَنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ إِذَا غَلَبَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسَبِيَ اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ))

[أبو داود عن عوف بن مالك]

أن تستسلم ، أن تنسحب ، أن تؤثر السلامة من دون أن تبذل جهداً ، إنّ الله عز وجل يلوم على العجز ، فليس العجز من صفات المؤمنين ، ولكن عليكم بالكيان ؛ التّدبير أي فكر ، دبر ، اطلب ، اسأل ، ابحث ، دقق ، نقّب ، حقّ ، ابحث ، تحرك يا أخي ، هذه الطّيّر التي ضرب الله لنا مثلاً في أنها تتسلّك على الله في رزقها ، هل تبقى في أعشاشها ؟ دقّقوا في الحديث الصحيح فعن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكِّلَهُ لَرَزْقُتُمْ كَمَا يُرْزِقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بَطَانًا))

[الترمذى عن عمر بن الخطاب]

الطّيّر قَبَعَتْ في أعشاشها وتوكّلتْ أم تغدو خماساً وتروح بطاناً ؟ إنّ الله كتب عليكم السّعي فاسعوا .

الأخذ بالأسباب و التوكل على الله :

أيها الأخوة الأكارم ؛ والله إني لكم ناصح أمين ، لن تتفوق في الحياة إلا إذا أخذت بالأسباب ، يجب أن تكون الطبيب ، والمدرس الأول ، والناجر الأول ، والمزارع الأول ، لأنك تمثل هذا الدين ، والموظّف الأول ، والمحامي الأول ، والمهندس الأول ، والصانع الأول ، أنت تمثل هذا الدين ، أنت على ثغر من ثغر الإسلام فلا يُؤتمن من قيلك ، الإعداد الإعداد هكذا ، فحينما ترك المسلمين الإعداد تخلّفوا ، وأصبحوا في مؤخرة الرّكب ، وأصبح أمرهم بيدهم أعدائهم ، وأصبحت كلّ ملتهم ليست هي العليا ، فالدرس الأول الذي نستتبّطنه من معركة بذر أنك إليها المسلم في كلّ شؤون حياتك إذا واجهت مشكلة ، واجهت خصمًا ، واجهت تحديًا ، واجهت قضية شائكة ، يجب أن تحلّلها ، وأن تبحث في عواملها ، وأن تُعد العدة لِمُواجهتها . وبعد الإعداد يأتي موضوع

خطير ، إنَّه التوْكُل ، إِنَّه الالْتِجَاء إِلَى الله عز وجل ، إِنَّه الافتقار إِلَى الله عز وجل ، ماذا فعل أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام في بدر ؟ افْتَقَرُوا إِلَى الله ، وَالْتَّجَوَوا إِلَيْهِ ، وَتَوَاضَعُوا لَهُ ، وَاسْتَمْدُوا مِنْهُ العَوْنَ ، قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ نَصَرْكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَلُهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[سورة آل عمران : ١٢٣]

هم هم ، أصحاب النبي ، أخذوا العدة ، وأعدوا العدة ، وقويت شوكتهم ، وكثُر عددُهم ، وكثُر سلاحهم ، وفتحوا مكة ، ودانَت لهم الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها ، دخلوا مكة فاتحين ، وتمكنوا في الجزيرة ، وقال قائلهم : لن نُغلَبَ اليوم من قلة ! اعتمدوا على قوتهم ، اعتمدوا على عددهم ، اعتمدوا على سلاحهم ، اعتمدوا على خصوص الناس لهم ، فلأنهم الله درساً لن ينسوه ، قال تعالى :

﴿لَقَدْ نَصَرْكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمُ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾

[سورة التوبة : ٢٥]

يا مَنْ قُلْتَمْ لَنْ نُغلَبَ مِنْ قَلَةً ! فَمَنْ نَحْنُ ؟ إِذَا كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَدْ أَذْبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَفِيهِمُ النَّبِيُّ فَمَنْ نَحْنُ حَتَّى لا نُؤَدِّبَ ؟ فَمَنْ نَحْنُ حَتَّى لا نُعَالِجَ ؟ فِإِذَا أَخْذَنَا بِالْأَسْبَابِ وَنَسِيَنَا مُسَبِّبَ الْأَسْبَابِ ، إِذَا أَخْذَنَا بِالْأَسْبَابِ وَاعْتَمَدْنَا عَلَيْهَا فَقَدْ أَخْفَقْنَا ، فَقَدْ حَقَّقْنَا خَسَارَةً كَبِيرَةً .

الدروس المستنبطة من معركة بدر :

أيها الأخوة الأكارم ؛ في موقعة بدرٍ درسان بليغان ، كبيران لكل مسلم ، في كل نشاطات حياته، إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليكم بالكييس ؛ بالتدبر والإعداد ، فإذا غلبَ أمرُ ، بعد أنْ أعدَّتَ العدة ، بعد أنْ أخذْتَ الأسباب ، شاعت مشيئة الله عز وجل ألا تتَّجَحَ في مسعاك ، هذا اسمُهُ قضاء وقدر ، فإذا غلبَ أمرُ الآن قُلْ : حَسْبِيَ اللهُ وَنَعْمَ الوَكِيلُ ، هذه لا تُقال إلا بعد استئناف الأخذ بالأسباب ، وإلا بعد التوكل ، تستنفد الأسباب وتتوكل على رب الأرباب ، وبعدها إذا جاء ما يغلبُ مشيئتك ، قُلْ : حَسْبِيَ اللهُ وَنَعْمَ الوَكِيلُ ، ولن ينهضَ المسلمين إلا بهذه الطريقة ، إلا باستثناء هذا الفهم الدقيق من موقعة بدر ، إعداد كافٍ ، قال تعالى :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

[سورة الأنفال : ٦٠]

كل أنواع القوى يجب أن تُعِدَّها لخصمك ؛ المعنوية والمادية ، الصغيرة والكبيرة، القريبة والبعيدة ، كل أنواع القوى يجب أن تُعِدَّها لخصمك . قال تعالى :

﴿وَمَنْ رِبَاطُ الْخَيْلِ﴾

[سورة الأنفال : ٦٠]

لِيُوضَّحَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِأَصْحَابِهِ الْكَرَامِ مَا مَعْنَى الْقُوَّةِ ، ضَرَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْقُوَّةِ مثلاً قَرِيباً مِنْ حَيَاتِهِمْ ، مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ، وَهَذَا سَمَّاهُ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ عَطْفُ الْخَاصِّ عَلَى الْعَالَمِ ، فَالْعَالَمُ هِيَ الْقُوَّةُ ، وَلَكِنْ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً فِي عَصْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ تَعَالَى :

﴿ تَرْهُبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوكُمْ ﴾

[سورة الأنفال : ٦٠]

ويجب أن يكون عدو الله هو عدوكم ، ويجب أن يكون عدوكم هو عدو الله عز وجل ، لا بد من تلازم العداوة ، أما أن يكون عدوكم ولهم الله عز وجل فهذه مشكلة كبيرة جداً، أما أن يكون عدوكم هو عدو الله عز وجل فهذا هو الصواب ، يجب أن يكون عدوكم عدو الله عز وجل . أيها الأخوة الأكارم ؛ هذا درسٌ بلِيغٌ نأخذُه في حياتنا كلها ، فالطالب الذي لا يدرس ، ويقول : أنا مؤمن ، وسألتُ على الله عز وجل ، وسوف ألهُم السؤال قبل الامتحان بيومين !! هذا الطالب لا يصلح أن يكون طالباً مؤمناً مستقيماً ، التاجر الذي لا يدقق ويشرقي بضاعة سيئة دون أن يدقق فيها وبيبعها بسعاً مرتفع فيخسر زبائنه ، ويقول : يا أخي هذه مشيئة الله عز وجل !! لا ، هذا خطأك ، وهذا ضعفك ، وهذا عدم تدبر منك ، وهذا عدم أخذ بالأسباب ، كل مصلحة ، وكل حرفٍ ، وكل مهنة ، وكل نشاطٍ ، وكل علاقة ، زواجٌ ؛ يأتيه خاطب ، فيسألُ عنه شخصاً عادياً ، يقول لك : والله هذا آدمي ، يزوجه ابنته فإذا هو شارب حمر !! هذا تقديرك ، يجب أن تأخذ بالأسباب ، لن تكون مؤمناً حقاً إلا إذا أخذت بالأسباب ، من لم يأخذ بالأسباب فقد عصى الله عز وجل ، ومن أخذ بها واعتمد عليها فقد أشرك ، فأنت بين شركٍ ومعصية ، أن تأخذ بالأسباب شركٌ ، ألا تأخذ بها معصية ، والتوكيد أن تأخذ بها وأن تعتمد على الله عز وجل في وقتٍ واحدٍ.

موقعه بدرٌ نصرٌ مؤزرٌ للمسلمين :

أيها الأخوة الأكارم ؛ موقعه بدرٌ كما قلتُ باديء ذي بداء كان فيها نصرٌ مؤزرٌ للمسلمين ، وأقول لكم : طعمُ النَّصْرِ لَا يُنْسِي ، الإنسان إذا حققَ نجاحاً في حياته يبقى أسبوعاً أو أسبوعين متألقاً الوجه ، زبقي العين ، يشعر أنه لا يمشي شيئاً يهروّل فيه هرولة ، مشاعرُ النَّصْرِ لَا تُنْدِرُ بشمن ، حتى في المستوى الفردي ، حتى لو نجحت في امتحان ، حتى لو نجحت في تجارة ، حتى لو نجحت في زواج ، حتى لو نجحت في قهر خصمك الذي يريد إطفاء نور الله عز وجل ، حتى لو نجحت في مناقشة ، حتى لو نجحت في إدلاء بحجة ، حتى لو نجحت في مؤلف ، الشعور سماه علماء النفس الشعور بالإنجاز ، الشعور بالنجاح شعور رائع جداً ، فالنجاح طريقه الأخذ بالأسباب ، والتوكل على رب الأرباب ، لذلك علمنا النبي عليه الصلاة والسلام هذا الدعاء : " اللهم إني تبرأت من حولي ، ومن قوتي ، والتجأت إلى حوالك وقوتك يا ذا القوة المتين " . أيها الأخوة المؤمنون ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنَ عليكم ،

واعلموا أنَّ ملِكَ الْمَوْتَ قَدْ تَخَطَّنَا إِلَى غَيْرِنَا ، وَسِيَتَخَطَّ غَيْرِنَا إِلَيْنَا ، فَلَنْتَخَذْ حَذْرَنَا ، الْكَبِيسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لَمَا بَعْدَ الْمَوْتَ ، وَالْعَاجِزُ مِنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِي الصَّالِحِينَ ، وَأَشْهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، صَاحِبَ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسُلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

ليلة القدر :

أَيُّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

[سورة القدر : ٣]

مِنْ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّكَ لَوْ عَبَدْتَ اللَّهَ أَلْفَ شَهْرٍ ، أَيْ ثَمَانِينَ عَامًا ، وَهَذَا مَتوسِّطُ الْأَعْمَارِ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ ، ثَمَانُونَ سَنَةً ! مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَوْ عَبَدْتَ اللَّهَ ثَمَانِينَ عَامًا ، إِذَا قَدَرْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَعَرَفْتَ أَسْمَاءَ الْحَسَنِيَّةِ ، وَصَفَاتِهِ الْفَضْلِيَّةِ ، وَعَرَفْتَ حَدَانِيَّتَهُ ، وَعَرَفْتَ كَمَالَهُ ، وَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ ، وَعَرَفْتَهُ مِنْ خَلَالِ آيَاتِهِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَمِنْ خَلَالِ آيَاتِهِ الْكُوْنِيَّةِ ، وَمِنْ خَلَالِ آيَاتِهِ التَّكْوِيْنِيَّةِ ، إِذَا تَعْرَفْتَ إِلَيْهِ ، وَعَرَفْتَ رَحْمَتَهُ وَحَبَّبَهُ لَكَ ، وَعَرَفْتَ قَدْرَتَهُ وَغَنَاهُ ، وَحَلْمَهُ وَلُطْفَهُ ، وَسَمِعْهُ وَبَصَرَهُ ، إِذَا عَرَفْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ خَيْرَ لَكَ مِنْ أَنْ تَعْبُدَهُ مِنْ دُونِ مَعْرِفَةٍ ثَمَانِينَ عَامًا ، لَذَكَّرَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ :

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

[سورة الزمر : ٦٧]

لَيْلَةُ الْقَدْرِ هِيَ الْلَّيْلَةُ الَّتِي تُقْدِرُ فِيهَا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِذَا هِيَ الْلَّيْلَةُ الَّتِي تُتَوَجَّ بِهَا عِبَادَةً صَادِقَةً ، عِبَادَةً مُخْلَصَةً ، إِقْبَالًا عَلَى اللَّهِ شَدِيدًا ، اتِّئْمَارًا بِأَمْرِهِ ، وَإِنْتِهَاءً عَمَّا عَنْهُ نَهَى .

نقاط أربع للسير على طريق الإيمان :

يَا أَيُّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ أَرْبَعُ نَقَاطٍ فِي الدِّينِ أَحَبَّ أَنْ أَذْكُرَهَا لَكُمْ فِي هَذِهِ الْخَطْبَةِ الثَّانِيَةِ الْمُتَعَلِّمَةِ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ .

لَنْ تَقْطِفَ شَيْئًا مِنْ ثَمَارِ الدِّينِ لَا مِنْ حِيثُ التَّحْلِيقِ ، وَلَا مِنْ حِيثُ الْحَالِ ، وَلَا مِنْ حِيثُ الْقَالِ ، لَنْ تَقْطِفَ شَيْئًا مِنْ ثَمَارِ الدِّينِ إِلَّا إِذَا اسْتَقَمْتَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، لَأَنَّ اسْتِقَامَتَكَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ مُؤْشِرٌ صِدْقَكَ ، وَعَدْمُ اسْتِقَامَتِكَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ مُؤْشِرٌ نَفَاقَ ، فَأَنْ تَقْهِمَ شَيْئًا ، وَأَنْ تُخَالِفَهُ ، هَذَا نُوْعٌ مِنَ النَّفَاقِ ، أَمَا أَنْ تَطْبِقَ مَا سَمِعْتَ فَهَذَا مُؤْشِرٌ عَلَى صِدْقَكَ ، فَالاِسْتِقَامَةُ عَلَى

أمر الله شرط أولى ، لا يمكن أن تقطف شيئاً من هذا الدين قبل أن تأتى بما أمر ، وقبل أن تنتهي عنه نهى وزجر .

شيء آخر ، أنت حينما استقمت أزلت كل العقبات من طريقك إلى الله عز وجل ، بقى عليك التحرك على هذا الطريق ، لا بد من علم وعمل ، لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أردد فيه من الله علما ، لا بورك ليس في طلوع شمس يوم لم أردد فيه من الله فريا ، فتح الطريق الاستقامة ، والحركة على هذا الطريق بالعلم والعمل ، قال تعالى :

﴿وَكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام: ١٣٢]

﴿إِلَهٌ يَصْنُعُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾

[سورة فاطر : ١٠]

قال تعالى :

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

[سورة المجادلة : ١١]

الحركة ؛ الرفع أو التقدم ، التقدم أو الصعود يحتاج إلى العلم ، وهناك شيء آخر كما قال تعالى :

﴿وَكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام: ١٣٢]

فأنت حجمك عند الله بحجم معرفتك بالله ، وبحجم عملك الصالح ، قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْكُمْ يُوحَى إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف : ١١٠]

لا بد من أن تستقيم ، واستقامتك تعني أنك أزلت كل العقبات من طريقك إلى الله عز وجل ، ولا بد من أن يزداد علمك يوماً بعد يوم ، علم بالله ، وعلم بأمره ، ولا بد من أن يكون لك عمل خالص تبتغي به وجه الله ، وتتعدده لقاء الله عز وجل ، وتتعدد لنزول القبر .

بقي عليك أن تتقدنَ الصلوات كما أراد الله عز وجل ، وأن تذكر الله عز وجل ذكرًا خفيًا ، وظاهرًا ، بقلبك وبلسانك ، وأن تتفكر في خلق السموات والأرض ، وأن تقرأ القرآن ، إذا فعلت هذه النقاط الأربع فقد سرتَ على طريق الإيمان .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، واعفنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تبارك ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا

تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحبتنا ، واجعله الوراثتنا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشرنا ، وأصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحالك عن حرامك ، وبطاعتكم عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك . اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهلك عنا ستراك ، ولا تتمننا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وامن رواعتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخيماً وسائل بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عصال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله علينا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإلتار ، فنسألك شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطي ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولهم العطاء ، وبيده وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أفررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيدهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قادر ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين